صُوِّرت في اذهان واضعيها تخلو من عيوب كثيرة تطرّقت اليها بعد وضعها . وقلّما وجدت ديانة لم تخلُ من الحق ما يكفي لجعل الذين يطلبون الله ويتلمسونه من اتحابها يجدونه في ساعة الاحتياج اليه» . ومن كتبه رسالة في تنسيم اللغات الطورانية واخرى في تاريخ آداب اللغة السنسكريتية . وترجمة التركي ڤيدا وهو مجموع اشعار باللغة السنسكريتية واقدم كتاب يحتوي معتقدات الشعوب الآرية جُمع قبل المسيح بنحو الف ومئتي سنة ونُظم قبل ذلك بمئات من السنين . وقضى مكس ملر على ترجمته ستًّا وعشرين سنة فبلغت صفحاته بالمتن والشرح ثمانية آلاف صفحة . وقد فحصه سبع مئة عالم برهمي فحكموا انه افضل نسخة وجدت واصلحوا نسخهم عليه . وله كتب اخر عديدة ولا يزال الى يومنا هذا مشتغلاً بالترجمة والتاليف والتصنيف فلا تمضي عليه سنة حتى يبغت العالم براي جديد ومبتكر مفيد

خطبة العلّامة باستور (١)

لجناب منشئي المتلطف الفاضلين

لا ريب ان قراء جريدتكما الشهيرة يرغبون في الاطّلاع على خطب مشاهير هذا العصر ولا سيما اذا كانوا بالعلم والفضل كالعلّامة باستور وكانت خطبهم تلقى على مجمع كالمجمع العلمي الفرنسوي الذائع الصيت في الآفاق . ولا حاجة ان اطنب في مدح باستور او اطري في افعاله بعد ان اشتهرت اشغاله السامية واكتشافاته البديعة لدى الخاص والعام حتى صار اسمه في الملا اشهر من نار على علم ولنخبة اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي عضوًا منهم اعترافًا باتعابه العديدة النافعة التي خدم بها العلم الشريف واطلوبُ محلّ العلّامة ليتربي الشهير الذي مات منذ زمان قصير . هذا والعادة في المجمع العلمي الفرنسوي ان العضو الجديد يخطب خطبة تتعلق بالعضو الذي توفي وترك له مكانه . وعلى ذلك خطب باستور خطبة هذه فسحر العقول ببلاغته واجتذب النفوس بقوة حجته . ولذلك اقتطفتُ منها اتمّ ما فيها مما يتعلّق بمناقشات ابناء هذا العصر راجيًا بسطها لدى قرّاء جريدتكما الغرّاء ولكما الفضل

الداعي

أذون لويس

قال الخطيب

«ايها السادة

اني اقف امام هذه الهيئة الموقورة وقد تحرّكت في فؤادي نفس العواطف التي تحرّكت فيّ

(١) خطبها حين دخوله في المجمع العلمي الفرنسوي

عند افتراعكم عليّ . فاني اشعر من نفسي بالقصور ولم اكن لاطمع امام حضراتكم الّا بالتسلل لولا اني انسب الى العلم نفسه هذا الشرف الذي اوليتموني اياهُ

فان العلم يأتي كل يوم بامرٍ عجيب وقد تمّم بصنيعكم هذا الشهادة الشاهدة بالتأثير العظيم الذي اثرتهُ الاكتشافات المتكاثرة في العالم وفي عوائد البشر وعلومهم . فان كنتم قد تنازلتم فنظرتم اليّ فذلك انما كان لان اشغالي قد اعانتني على الحظوة بالتفاتكم . ولا يخفى ان بعض اشغالي هذه يتعلق بظواهر الحياة

هذا واني قد برهنت بالبحث عن اصل الجراثيم الحية ان الحياة على ما قد تحقّق لنا حتى الآن لا تحصل من القوى المتسلّطة على المادّة (كقوّة الحرارة والنور والكهربائية والجاذبية) فخدمت بذلك التعليم الروحي الحصين عندكم وان كان قد أُهمل كثيرًا عند غيركم . ولعلكم قد سررتم باني دبّرت للبحث عن اصل الجراثيم الحية طريقة دقيقة التجارب ادّت الى قطع المناقضة والمنازعة في هذه المسألة العسرة الغامضة . ولكن الفضل في استنباط هذه الطريقة ليس لي بل للمجرّبين العظام الذين سبقوني كغليليو وباسكال ونيوتن وغيرهم ممّن جاء بعدهم منذ مئتي سنة الى الآن فخلفوا لنا هذه الطريقة للوصول الى المقصود بالمراقبة والامتحان مع خلوّها من الاوهام والاغراض وخلوصها من شوائب الظنون واكدار الآراء . ولكمال تدقيقها وعظم النتائج التي نتجت عنها غلب سحرها على عقول كثيرين من مشاهير العقلاء فزعموا انها كفيلة لان تحل كل قضية من القضايا على تمادي الزمان . وقد شاركهم في هذا الزعم الفاسد الشهير ليتري الذي حللت بينكم محلّهُ"

ثم استطرد الخطيب الى ذكر سيرة ليتري وكتاباته وآرائه وتاثير تعاليم الموسيو كونت فيها . وانتقد فلسفة كونت واتّباع ليتري لها مستندًا في ذلك الى الادلّة العلمية جاريًا في انتقاده مجرى اهل العلم فقال من جملة ذلك

"ان ليتري اتّبع فلسفة كونت فحكم بوجوب ترك البحث عن الله والنفس واصل الاشياء وغايتها زاعمًا انهُ لا يمكن لنا ان نعرف حقيقة هذه الامور بالعلم . ولذلك قال انهُ يجب نزع صورها من العقول . على اني لست ادري اني اكتشاف فلسفي او علمي اباح لهُ ذلك الحكم او قضى بوجوب نزع تلك الصور من الاذهان . ألا ترون ان الكون محجّب بالاسرار وان الصور التي حكم ليتري بوجوب محوها من عقول البشر انما حصلت فيهم من تلك الاسرار

ان العلوم المبنية على التجربة والامتحان لا تبحث عن جوهر الاشياء ولا عن اصل المادة وما تصير اليهِ ولا تتعرّض لحلّ هذه المسائل العقلية . على ان اصحابها يرتأون آراء كثيرة لتكون لهم دليلاً وداعيًا للبحث لا غير فاذا طابقت الواقع قبلوها وان لم تطابقهُ رفضوها . فاعظم الاغلاط

التي ارتكبها ليتري وكونت واشباهها انهم عدوا فلسفتهم فلسفة علمية وزعموا انهم يجرون فيها على الطريقة العلمية التي استنبطها ارخميدس وغليليو وپاسكال ونيوتن ولاڤوازيه وغيرهم وخلفوها لنا جيلاً بعد جيل والحال ان فلسفتهم تهمل اهم الصور المرسومة في ذهن الانسان والزمها اعني بها صورة الغير المتناهي (او الغير المحدود) التي لا يخلو ذهن عاقل منها . اذا سألتكم ما وراء هذه السماء المكوكبة تقولون سماء اخرى مكوكبة فان قلتُ وما وراء هذه السماء الأخرى تقولون سماء اخرى ولا ازال اسألكم نفس هذا السؤال على الدوام ولا اقتنع منكم بجواب . فان العقل البشري ينساق من الفطرة بقوّة لا تقاوم للسؤال عما وراء المتناهي . واذا حاول ان يقف على حدٍّ من الزمان او المكان فلا يلبث ان ينظر منه الى كل الاشياء حتى يجد ذلك السؤال يعاودهُ رغمًا عنهُ فيعيدهُ قائلاً وما وراء هذا الحد الذي وقفت عنده ولو كان هذا الحدُّ اسمى ما بلغ اليه الانسان . والخلاصة ان العقل عاجز عن المجاوبة على هذا السؤال ولا يقنع بجواب مَنْ يقول له ان وراء ما تسأل عنهُ زمان وامكنة لا نهاية لها ابقاء السؤال في محلهِ وعدم تحصيل العقل من ذلك الجواب شيئًا جديدًا . فكل من يقرّ بوجود الغير المتناهي (ولا يستطيع احدٌ انكارهُ) يضمّن في اقراره هذا امورًا فوق الطبيعة تزيد عمّا تتضمنهُ معجزات كل الاديان مما هو فوق الطبيعة . ولا مناص لهُ من ذلك لان صورة الغير المتناهي في ذات صفتين احداهما انها ترتسم في الذهن بالاضطرار لا بالاختيار والأخرى انها فائقة الادراك . فاذا دخلت على العقل خضع لها ودان مسحورًا بعظمتها مقهورًا بقوتها . ومع كونها اصلية ضرورية لا يخلو ذهن احد منها فقد اهملها كونت من فلسفتهِ ولم يعبأ بها فضلّ عن محجة العلم اذ العلم يقضي بوجوب الالتفات الى كل الحقائق ولو كانت صورًا في الذهن

اما انا فاني اجد الدلائل على وجود صورة الغير المتناهي (او الغير المحدود) في اذهان البشر ظاهرة في كل مكان واحكم من ذلك بان ما فوق الطبيعة مستكنٌّ في فؤاد كل انسان . ولما كانت صورة الله في النفس من نوع صورة الغير المحدود وكانت صورة الغير المحدود محجّبة باسرار تسبي القلوب والعقول فالبشر لا ينفكون البتة عن بناء المعابد لعبادة الغير المحدود الذي يسمونهُ الله او يهوه او يرْهَمه او غير ذلك بحسب اصطلاحهم . هذا واذا نظرنا الى شيء جميل قسنا جمالهُ على صورة في الذهن فائقة كل جميل وحكمنا ان ذلك الشيء قليل الجمال او كثيرهُ حسب بعدهِ عن تلك الصورة او قربهِ منها . أفليست هذه الصورة يا ترى انعكاسًا عن صورة الغير المتناهي . والّا فاين نهاية جمالها ولماذا نعدها اسمى جمالاً من كل جميل نراهُ . وايضًا ان العلوم والفنون انما حصلت من اشتياق النفس للمعرفة . وهذا الشوق انما تهيّج فيها بمقابلتها للاسرار التي تحجب الكون بها . وايضًا من اين صدرت عظمة الانسان وحريّته واستقلال الامم ان لم تكن قد صدرت عن صورة

الغير المتناهي التي يتساوى عندها كل البشر

* *

ان اليونان ادركوا هذه القدرة السرّية المستترة وراء الاشياء فخلعوا لنا كلمة من اجمل الكلمات وهي Enthousiasme (الالهام والحماسة) وهي ماخوذة من كلمتين يونانيتين Ev θεος معناها الهٌ في الداخل . لان عظمة الاعمال التي يعملها البشر تكون بحسب هذا الالهام الذي يحمّس النفس ويدعوها الى العمل . فستباً لكل الذين فهم صورة الله وصورة الجمال والعلوم والفنون وحب الوطن والفضائل التي تعلمها الكتب الطاهرة . اولئك هم مصدر كل فضل عميم وعمل عظيم

النمل العسّال

داب علماء الطبيعة في هذه الايام درس الموجودات من اكبرها واسماها الى اصغرها وادناها فيشدون رحالهم الى قلب افريقية للبحث عن طبائع ذبابة من الذباب كما يشدونها لمراقبة كوكب من الكواكب يشهد بذلك ما نسمع به سنة بعد سنة من ذهاب العلماء الى اقاصي الارض وتحملهم النفقات الوافرة وتجشمهم الاتعاب الشاقة للبحث والتنقيب. من ذلك ان العالم الدكتور مكك ذهب منذ مدة الى كولورادو باميركا الشمالية الى المكان المدعو بجنة الآلهة لكي يبحث في طبائع النمل العسّال فوجد بعد البحث المدقق ان هذا النمل ينقسم الى اناث (ملكات) وذكور وخناث والخناث تنقسم الى كبار ومتوسطة وصغار وعسّالة والعسّالة اغربها لان معدها كبيرة كروية الشكل مثل حبوب العنب الصغيرة جرمًا ولونًا (كما ترى في الشكل المقابل فان a صورة هذه النملة مكبرة و b جرمها الطبيعي) وتتضمن عصارًا حلوًا كالعسل او بالحري كسكّر العنب . اما كيفية جمع هذا النمل للعسل فقد اشكلت

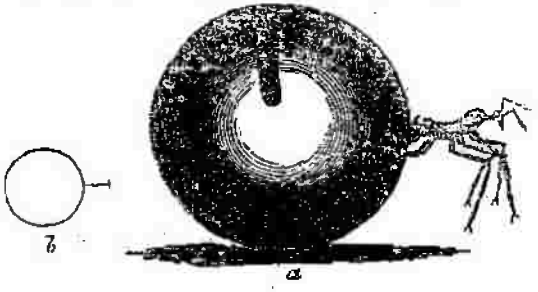

على الدكتور مكك في اول الامر لان النمل نهم في اكل العسل بقصدٍ حيث كان حتى ان الازهار التي يجتني النحل منها العسل لا تنجح للنمل سلب عسلها او اريها منها لانها انما تفرز الاري اغراء للنحل لكي يختلف اليها ويلقحها بعضها من بعض فتضطر الى حماية اريها من النمل فتحميه بالاشواك والشعر والمواد الدبقة منعًا للنمل من البلوغ اليه وذلك مطّرد في كل النباتات الّا نوعًا من نبات